المحاضرة الرابعة: ارهاسات التجديد في النقد العربي الحديث

المدة: ساعة

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية (ليسانس)

- ملامح التجديد في النقد العربي الحديث:

- حدود المصطلح:

وردت لفظة الجدة في لسان العرب كنقيض للفظة "البلى"، يقول ابن منظور: " الجدّة هي نقيض البلى، ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به"

يتضح مما تقدم، أن التجديد يعني إعادة ترميم الشيء البالي، وليس خلق شيء لم يكن موجودا أصلا، وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلك الفكر.

بناء على ما سبق يكون اختيار كلمة التجديد لتوظيفها في مواضيع الفكر والنقد والأدب موافقا للغاية المقصودة، حيث أن الاتجاه التجديدي في النقد الحديث لم يخلق فكرا جديدا أو إيديولوجية من العدم، بل حاول نفض الغبار عن شيء كان موجودا سابقا.

ويعد التأثر بالفكر الغربي والشعر على وجه التحديد هو ما رسم ملامح خارطة جديدة في الساحة النقدية العربية في العصر الحديث، فبعد الحرب العالمية الأولى أخذ الشعراء يتأثرون بالشعر الغربي لاسيما الفرنسي والإنجليزي، والرومانسي منه خاصة، إما تأثرا مباشرا عن طريق البعثات الطُّلابية المصرية إلى أوروبا للدراسة والبحث العلمي، أو عن طريق الترجمات بمن تأثروا بهم، وقد أدى ذلك التأثر إلى بروز اتجاه شعري جديد، يركز على

المضامين أكثر من الشكل، ويقدم نظرة مغايرة لأساليب التعبير ومفردات اللغة كما يركز على اللغة الشعورية في الأعمال الإبداعية. وقد ظهرت في هذه المرحلة ملامح تجديد عدة تتضمن الشعر كما النثر أيضا.

أ/الأسلوب الأدبي:

ضبط الأدباء المجددون الوظيفة الأولى للأدب في التربية والتنوير، وعليه يصبح المضمون والمحتوى الفكري في الصدارة، أما الوسائل اللغوية والأسلوبية فأصبحت من وجهة نظرهم تُقوَم من جانب قدرتها على نقل فكرة الكاتب إلى القارئ ومدى إقناعه بها.

وقد شمل هذا التحول في الأسلوب الأدبي جميع المجديدن العرب، سوريين ومصريين. وقد نجحوا في تغيير التصورات القديمة التي عمرت دهرا من الزمن، رغم إعترافهم بأن عملية تطويع الأسلوب القديم لمتطلبات العصر الجديدة عملية شاقة، وقد استغرقت بدورها زمنا طويلا، ويمكن الإشارة هنا إلى الدور الهام الذي قام به المنفلوطي، فقد كان أسلوبه نموذجا ممتازا من حيث المقاييس الأسلوبية القديمة، وفي نفس الوقت كان سهلا يلائم متطلبات العصر.

ب/ علاقة الأدب بالتاريخ:

ازداد التصاق الأدب بالحياة فأصبح في نظر النقاد مصدرا من مصادر التاريخ الصادقة، يقدم صورة على بيئته وعصره.

ج/ اتجاهات النقد:

-**التيار القومي:** يدعو هذا التيار للأدب القومي، ويعتبره صورة صادقة عن الأمة، مؤكدا أن لكل شعب أدبه الخاص به، يصور ماضيه وحاضره، كما يجسد آماله المستقبلية.

-**التيار العالمي:** تجاوز أنصار هذا اليتار حدود الأدب القومي الضيقة، حيث دعوا إلى نظرة شاملة لأدب العالم بأسره، مؤكدين على أن الأدب ملك لكل سكان المعمورة.

-**التيار الجمالي:** يدعو هذا التيار إلى الفن المجرد، الذي يدافع عن حرية الفنان حرية مطلقة، مع عدم الالتزام بأية رسالة قومية أو أخلاقية أو اجتماعية.

تأسيسا على ما سبق، ويمكن القول أن النقاد العرب في هذه المرحلة كانوا يمثلون مذهبين متباينين ومتصارعين أشد الصراع، هما:

***أصحاب المذهب القديم:** الذي كان يعنى بالنقد اللغوي على نهج القدماء، فيهتم بالصيغ والألفاظ والنواحي البلاغية.

***أصحاب المذهب الحديث:** كان يهتم بالتجربة الأدبية وبالصياغة الفنية في العمل الأدب.

- النقد عند الرافعي:

يعد الرافعي علما من أعلام النقد العربي الحديث، نشأ في بيت علم ودين وحكمة، فحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والكثير من متون الفقه والأدب، أصيب بحاسة الصم منذ صغره فحاول أن يعوضها بالمطالعة المكثفة في مكتبة والده المليئة بكتب التاريخ واللغة والفلسفة والمنطق والتفسير والحديث، فأخذ يقرأ بنهم ويصل بوعي وينقل بفهم ويناقش برأي.

ترك تراثا أدبيا ونقديا ضخما، نذكر على سبيل المثال: "تاريخ آداب العرب"، "تحت راية القرآن" الذي رد فيه على كتاب طه حسين "في الأدب الجاهلي"، "على السفو"د وفيه يرد على العقاد، "ديوان الرافعي"، "من وحي القلم" وغيرها من المؤلفات الهامة.

ا/ أهم آرائه النقدية التجديدية:

يميل الرافعي إلى الاتجاه المحافظ التجديدي، رغم إلمامه بالثقافة الأجنبية، لكن رغم هذه الإحاطة الواسعة لم تجعله يقع في براثين الذوبان والتبعية، بل على العكس من ذلك تماما فقد منحته مناعة وحصانة ونفسا جديدا قرأ به تراثه العربي.

ب/ مفهوم الشعر:

يقول: "أول الشعر اجتماع أسبابه، وإنما يرجع في ذلك إلى طبع صقلته الحكمة، وفكر جلا صفحته البيان فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب"، فهو يراه لسان القلب وترجمان النفس، ويجب أن يكون مؤثرا في سامعه، جامعا بين جمال الفلسفة والشعر.

ويرى الرافعي أن جودة الأدب تتمثل في شموليته وتمثيله للطبيعة، ومطابقته للواقع، كما تتمثل في حسن لفظه وفصاحته وجمال تصويره، وخلوه من التقليد والابتذال، واعتنائه بالصنعة البيانية من غير تكلف، ولابد من التصرف في اللغة مع مراعاة قواعدها.

ج/ ميزان الشعر:

أما ميزان الشعر فقد حدده في قوله: "وأما ميزانه فاعمد إلى ما تريد نقده فرده إلى النثر فإن استطعت حذف شيء منه لا ينقص معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه(...) ولن يكون الشعر شعرا حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الإجادة" .

د/ شخصية الأديب:

يشترط الرافعي عدة صفات، أهمها رقة الحس وطبع النفس، وصفاء الذهن وانتباه الخاطر، وبعد النظر وقوة البديهة، وحنكة التجارب وشمول الحكمة، وبالمقابل نجده يذم

التكلف عند الشعراء، الذي ينتج عن تقديس الأوزان القديمة، وتقليد القدماء تقليدا أعمى في الصور والمعاني، مما يؤدي إلى التركيز على القشور وإهمال اللب الذي هو روح الشعر.

ويرى أن شخصية الأديب تكمن في مدى تصويره لمذهب جماعته وطريقتها في الأدب، على أن يكون له أسلوبه الخاص.

هـ/ السرقات الأدبية:

قدم رأيه فيها بقوله: "إنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم أن يبرزوا ما أخذوا في معارض من تأليفهم ويؤدوه في غير حليته الأولى، ويزيدوا في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه، فإذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق إليها".

نص للتطبيق:

يقول رمضان حمود في قصيدة الحرية:

لا تلمني في حبها وهواها	***	لست أختار ماحيت سواها
هي عيني ومهجتي وضميري	***	إن روحي وما إليه فداها
إن عمري ضحية لأراها	***	كوكبا ساطعا ببرج علاها
فهنائي موكل برضـــــاها	***	وشفائي مسلم بشقاها
إن قلبي في عشقها لا يبالي	***	تنطوي الارض ام يخر سماها
قد قضى الله أن تكون كصوت	***	وقضى أن يرد روحي صداها
لم أنل من حبيبي إلا صدودا	***	وصدود الحبيب نار وراها
هجرتني من غير ذنب ولكن	***	كل ذنبي في الكون قلبي اصطفاها
قيدتني وخلفتني أســيرا	***	في يد الوجد محرقا بلضاها
فارقتني بلا وداع وخافت	***	من وداعي تعلقي برداها

تركتني ولم تراع هيامي *** عذبت مهجتي بشحط نواها

هكذا سنة المحبة تقضي *** بشقائي مادمت ابغى لقاها

إيه يادهر فارفقن بقلـــب *** يحمل الخطب والهموم سواها

أيها الطائر المحلق فوقي *** هل اجد فيك حكمة وانتباها

اترى هل تكون مني رسولا *** يحمل سر الحبيب وجاها

بلغنها مقالة من صـديق *** حين تاتي ديارها وتراها

المطلوب:

حلل القصيدة مبينا مظاهر التجديد في شعر رمضان حمود.